جميلة بوحيرد في الشعر الشعبي العربي، قراءة في قصيدة "اللّي جَرَى لْجَمِيلَةْ" لصلاح جاهين

Jamila Bouhired in arab folk poetry, a reading of " what happened to Jamila" poem by Salah Jahin

حياة مستاري *

جامعة باتنة1

مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة

hayat.moustari@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:**2024-03-20** تاريخ القبول: **2024-05-23**

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة موضوع الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي العربي، من خلال شخصياتها النسائية المجاهدة التي كانت حاضرة ومؤثرة في أحداثها، وتعد "جميلة بوحيرد" أنموذجا للمرأة الجزائرية الشابة الثائرة، بما كان لمقاومتها من صدى عربي وعالمي، هيّج المشاعر، وبعث الفخر والأمل في النفوس اليائسة، كما كشف للعالم وحشية المستعمر الفرنسي، وبأن هناك شعبا يرزح تحت نير الاحتلال منذ قرن ونيّف، يكافح لنيل استقلاله وحريته، فكان لقضيتها بالغ الأثر في حشد الرأي العام العالمي لها ولقضيتها.

وقد احتفى الشعراء الشعبيون بهذه البطلة الجريئة، وخلدوا اسمها في صفحات الشعر والأدب، ومن هؤلاء الشعراء: الشاعر الشعبي المصري "صلاح جاهين" في قصيدته "اللّي جَرَى لْجَمِيلَةْ".

ومن النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة الوصفية التحليلية هو أن جميلة بوحيرد قد أخذت أبعادا متنوعة في هذه القصيدة، فهي العروبة والوطن والثورة والبطولة، حين غدت رمزا دالا عليها.

الكلمات المفتاحية: ثورة؛ جزائر؛ شعر شعبي؛ جميلة بوحيرد؛ صلاح جاهين.

Abstract:

This study approaches the Algerian revolution in Arab folk poetry through its female revolutionary figures. "Jamila Bouhired" is a model of young, rebellious Algerian women, whose resistance resonated globally, stirring emotions, instilling pride and hope in despondent hearts. Her defiance exposed the French colonialism,

* **المؤلف المراسل**

highlighting occupation existence for over a century. Her cause moved global public opinion for both her and the struggle for freedom.

Arabic folk poetry celebrated this heroine immortalising her in literature. Notable among these poets is the Egyptian poet "Salah Jahin" in his poem "What happened to Jamila."

This study concludes that Bouhired takes on diverse dimensions in this poem, symbolising Arab identity, homeland, revolution and heroism.

Keywords: revolution, Algeria, folk poetry, Jamila Bouhired, Salah Jahin Jahin

مقدمة:

التف الشعب العربي في مشارق الأرض ومغاربها حول الثورة الجزائرية يدعمونها بكل الوسائل، وكان للكلمة دور كبير في ذلك؛ إذ هب الصحفيون والكتاب والشعراء يدعمونها بأقلامهم وألسنتهم. ولن نبالغ إذا قلنا إن الثورة الجزائرية أكثر ثورة تغنى بها الشعراء العرب في تاريخ الشعر المعاصر، فرغم اختلاف قناعاتهم ومعتقداتهم الدينية، وعلى تعدد رؤاهم الفنية وأفكارهم القومية والإقليمية، وعلى اختلاف أيديولوجياتهم المتناقضة في كثير من الأحيان، إلا أنهم كتبوا فيها أعذب القصائد وتغنوا بها وبأبطالها، فقد هزت أحداثها وجدانهم، ومست بطولات نسائها ورجالها قلوبهم، فتماهوا معها إلى أبعد حدّ.

ومن أهم الشخصيات المؤثرة في الثورة الجزائرية المجاهدة "جميلة بوحيرد" التي كتب عنها العديد من الشعراء العرب، ومنهم الشعراء الشعبيون أيضا، نظير بطولاتها ومقارعتها غشم الاحتلال، والشاعر "صلاح جاهين" واحد منهم؛ إذ هزت معاناتها وجدانه، واستفزه ظلم المحتل وقهره لها، فكتب قصيدة "اللّي جَرَى لْجَمِيلَةْ" تعبيرا عن تضامنه معها.

انطلاقا مما سبق، سنحاول مقاربة هذه الطروحات وعلاقاتها البينية وتأثيراتها، بمحاولة الإجابة عن إشكاليات تتعلق بكيفية تعاطي الشاعر الشعبي العربي مع قضية جميلة بوحيرد؟ عن حضورها في شعرهم؟ وكيف صورها صلاح جاهين في قصيدته؟ وماهي الأبعاد التي تمثلتها فيها؟

مهاد تعريفي

جميلة بوحيرد:

هي إحدى نساء الجزائر الثائرات ضد المستعمر الفرنسي، إلا أن شهرتها فاقت نظيراتها من المجاهدات والشهيدات، إذ اكتسبت قضيتها صبغة عربية وعالمية، ووحدت قضيتها الإثنيات والطوائف.

هي من مواليد حي القصبة بالعاصمة الجزائرية سنة 1935م، وتعود أصول عائلتها إلى مدينة بجاية، تتلمذت في المدرسة الفرنسية، وقد ورثت النضال وكره المستعمر من عائلتها الوطنية التي كان معظم أفرادها ينتمون إلى الأحزاب الوطنية، ثم انضمت إلى حزب جبهة التحرير الوطني سنة 1956م، لتُعتمد فيما بعد فدائية متمرسة في رمي القنابل التي كان منزلها بالقصبة مصنعا لها، ألقي القبض عليها يوم 9 أفريل1957 م، بعد إصابتها برصاصة في رجلها، إثر مطاردتها من قبل الفرنسيين في شوارع القصبة.[2]

تعرضت "جميلة بوحيرد" لأبشع أنواع التعذيب والتنكيل لثلاثة أيام متتالية في المستشفى العسكري بمايو بالعاصمة، كما عُذب أخواها أمامها كوسيلة ضغط نفسية لجرّها للاعتراف بمكان الفدائيين، لكن دون جدوى، فصدر الحكم بإعدامها يوم 13 جويلية 1957م.[3]

تولى المحامي الشهير "جاك فرجيس"* الدفاع عن "جميلة بوحيرد"، إلا أن المحكمة الفرنسية رفضته، بل وحاولت اختطافه واغتياله، خاصة بعد رفض "جميلة" الكلام في المحكمة إلا في حضوره، مما أدى إلى انتشار القضية وتدويلها عالميا، حيث إن الحكم بالإعدام صدر في حق "جميلة" وأربع نساء أخريات، فلم يكن أمام فرنسا إلا الإذعان وإلغاء

---

[2]- انظر: شريبط أحمد شريبط، كتاب جميلة بوحيرد الأدب يخلد الكفاح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2013، ص15

[3]- انظر: المرجع نفسه، ص18

* جاك فرجيس (1925،2013) محام فيتنامي يحمل الجنسيتين الجزائرية والفرنسية، اكتسب شهرة في خمسينيات وستينيات القرن الماضي عبر دفاعه عن مجاهدي جبهة التحرير الوطني ومنظمة التحرير الفلسطينية، تزوج لاحقا بالمجاهدة جميلة بوحيرد.

هذا الحكم حفاظا على صورتها أمام العالم، وظلت "جميلة" في السجن حتى الاستقلال، حيث تم الإفراج عنها ورفيقاتها في العاصمة باريس.[4]

صلاح جاهين:

صلاح جاهين (1930 – 1986) شاعر مصري ذو فكر يساري قومي، ولد بمدينة شبرا بمصر، فنان متعدد المواهب؛ فقد كان رساما كاريكاتيريا وشاعرا شعبيا وممثلا وكاتب سيناريو، يعدّ صاحب أهم مدرسة في فن الكاريكاتير في القرن العشرين في العالم العربي، كما كان له دور بارز في تطوير فن مسرح العرائس الشعبي، حصل على وسام العلوم والفنون سنة 1965 م .[5]

ألّف العديد من الأغاني، وكتب سيناريو عدة أفلام أشهرها "شفيقة ومتولي"، كما أنتج فيلم "عودة الابن الضال" للمخرج "يوسف شاهين"، وأدى عدة أدوار تمثيلية منها دوره في فيلم "اللص والكلاب" عن رواية "نجيب محفوظ".

عمل محررا في عدد من المجلات والصحف، وقام برسم الكاريكاتير في مجلتي "روز اليوسف وصباح الخير"، ثم انتقل لاحقا إلى جريدة "الأهرام"، إلا أن قمة أعماله هي قصائد "الرباعيات" التي تضم أكثر من 60 قصيدة متعددة المواضيع، تعبر عن ولعه بالمجهول والانطلاق والأماني، ويمكن أن تكون كل واحدة منها عنوانا لحياة كاملة.[6]

حضور شخصية "جميلة بوحيرد" في الشعر الشعبي العربي

لقد غيّر انتصار ثورة نوفمبر المجيدة الموازين، وأعاد للتاريخ مجراه الحقيقي حين أثبتت فعلا أن الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة، وذلك حين تتغير المعطيات والظروف،

[4] - انظر: جورج أرنو، أسطورة من كفاح الجزائر: جميلة بوحيرد، ترجمة وتقديم: عبد القادر حمزة، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة، دت، ص110، 111.

[5] - انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج3، دار الجيل، بيروت، ط2، 2001، ص1527

[6]- انظر: محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام، ج1، دار ابن حزم، 2018، ص246

وتظهر القيادات الوطنية من أبناء الشعب المؤمنين به وبقدرته على تحقيق الانتصار، لذلك كان لها بالغ التأثير في تحرير الشعوب من السيطرة الاستعمارية، وبخاصة الفرنسية.

كل هذه المعاني حرّكت وجدان الشعراء العرب في المشرق والمغرب، فنظروا إلى الثورة الجزائرية بوصفها ثورة من أجل الانعتاق أولا، وثورة شعب عربي ثانيا، أسهمت في هذا الزخم الكبير الذي أعطى قوة لكافة المناضلين من أجل الحرية. من هنا جاء احتفاء الشعراء العرب بثورة نوفمبر؛ حيث وجدوا فيها انتصارا لأفكارهم وأحلامهم، فواكبوها منذ اندلاعها، وخلدوا أحداثها وشخصياتها في إبداعاتهم.

وفي الحقيقة، تعددت القصائد التي أُنشدت في قضية "جميلة بوحيرد"، وانطلقت الحناجر لتثير من خلالها قضية الجزائر كلها، مركزة على وحشية القمع الاستعماري للثورة، وهو ما أكسب القضية أبعادا عربية ودولية، فنالت "جميلة" بذلك حصة وافرة من الاحتفاء والتغني؛ حين هبّ الشعراء العرب لنصرتها ونصرة قضيتها العادلة، نذكر من بينهم "نزار قباني"[7] "وسليمان العيسي"[8] و"بدر شاكر السياب"[9] وغيرهم الكثير مما لا يتسع المقام لذكرهم، فأضحت بذلك أيقونة في سماء الشعر العربي.

والشاعر الشعبي العربي لم يقصّر هو أيضا، ولم يقتصر إبداعه على الذاتيات فحسب، بل عبر أيضا على الهم القومي والسياسي لأمته، فقد تغنى الشعراء الشعبيون بالثورات العربية أيضا بلغتهم البسيطة القريبة من الناس، فحظي شعرهم بقاعدة شعبية واسعة.

وقد تفاعل الشاعر الشعبي العربي مع الثورة الجزائرية وأبطالها؛ فحفزت وجدانه وعقله، فاستلهم من أحداثها وأبطالها في الكثير من إنتاجاته، ويبدو أن حضور الثورة الجزائرية في الشعر الشعبي قد تَمَثّلَ أيضا من خلال حضور شخصية "جميلة بوحيرد"؛ لما

---

[7]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، منشورات نزار قباني، 1982، ط1، قصيدة جميلة بوحيرد

[8]- سليمان العيسى، المجموعة الكاملة، مج3، دار الشورى بيروت، 1980، ط1، قصيدة جميلة بوحيرد

[9]- بدر شاكر السياب، أنشودة المطر، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1969، ص62

ثبت وشاع من صمودها وتحديها لزبانية فرنسا وتنكيلهم بها، وها هو الشاعر الشعبي المصري "علي الفقي" يَعُدُّها رمزا للوطنية ومثالا يحتذى به، فيخاطب ابنته متمنيا أن تأخذ من صفات "جميلة" وعنفوانها، يقول في قصيدة "بنتي الجميلة":[10]

بَحْسِبْلِكْ بِاليوم واللّيلة واتْمنى أَشوفِكْ قُدَّامي

زَيْ الْبَطلة الحرة جميلة

بِتْجَاهْدي لوطنك وِتْحامي

ويقولوا بنتك فدائية

تِبقى مُشْ سَيْعاني الدنيا

أما الشاعر الليبي "محمد منصور المريمي" فقد عُرف عنه مساندته القوية للشعب الجزائري وثورته؛ ونظمه للعديد من القصائد في ذلك، منها قصيدته الطويلة في نضال "جميلة بوحيرد"، يقول:[11]

يا دنيا كِيف حال جميلة .. مش ذليلة .. أيِّن حبس اليوم نزيلة

يا دنيا رِيتي كِيف صار .. لَسْتعمار .. حَكَمْهَا حُكم بطلق النـــار

اهتز العالم صار غْيَارْ .. أحكام هزيلة .. حتى الكافر حار دليلــه

يا دنيا بالله شُوفيها .. لا تزيديها.. نار عذاب على ما فـــيــهـــا

لا تْميلي عنها تَرديها.. راه جميلة.. لعبت دور قليل مثيـــــلــــه

[10]- علي الفقي، ديوان أمواج وأنواء، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص110

[11]- حواء البدري، الملتقى الثقافي العربي، الشاعر محمد المريمي وريادة الشعر الغنائي، www.ektrab.com

ويهدي الشاعر المصري "عصمت الحبروك" "جميلة بوحيرد" واحدة من أجمل قصائده الغنائية "جميلة يا رمز الوطنية" التي ألفها عندما كان يخدم في الجيش المصري كضابط في القوات المسلحة، ومن الطبيعي أن تلفته شجاعتها ويقدر تضحيتها في سبيل وطنها وهو المشارك في الحروب المصرية الإسرائيلية في خمسينيات وستينيات وسبعينيات القرن الماضي، يقول:[12]

أبدا أبدا مُشْ لِيكي العبودية يا جميلة يا رمز الوطنية
حرة أبية يا جزائرية يا جميلة يا رمز الوطنية
كل شعوب الدنيا معاكي بتقولك أرواحنا فداكي
يا جميلة ربي يرعاكي وِتْشُوفي نور الحرية
شوفي فرنسا والِّي جَرَالْهَا بعد العار والذل ماجَالْهَا
وقفوا قْصَادِكْ كل رجالها وهزمتيهم يا جزائرية

ومن لبنان، يطالعنا الشاعر الشعبي "عبد الجليل وهبه" الذي لم يستطع مقاومة هذه البطولة والبسالة التي أبدتها المجاهدة الشابة "جميلة" أمام جبروت فرنسا وقمعها، فيبدي تضامنه وإعجابه بها في قصيدة بعنوان "كلنا جميلة"، يقول:[13]

كلنا جميلة البطلة النبيلة

كلنا فداها البطلة الجميلة

جميلة الصبية الشجاعة القوية.. فتاة الجزائر

[12] - عصمت الحبروك، ديوان الوصايا الألف، دار الكتاب اللبناني للطباعة، بيروت، 1985، ص80

[13]- ديع الحاج، عبد الجليل وهبي في الإنتاج الفني والإذاعي، في جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى في لبنان، دار نلسن، بيروت، 2022، ص 234

من أجل القومية الحرة العربية.. والنضال الثائر

سفكت دماها

وظنوا جميلة لا يوجد سواها

إن كل هذه القصائد الشعبية العربية وغيرها الكثير مثال على التعاطف والإحساس الكبيرين بما عانته هذه المجاهدة في سجون الاستعمار الفرنسي، واعترافا منهم بحجم ما قدمته من تضحيات في سبيل وطنها واستقلاله.

تمثلات شخصية "جميلة بوحيرد" في قصيدة "اللّي جَرَى لْجَمِيلَةْ"

الشعر الشعبي أحد أشكال التعبير في الأدب الشعبي، يلمس الشاعر به شغاف قلوب أفراد مجتمعه الذين عاش بينهم، وأحس بآلامهم وشعر بعواطفهم وأحاسيسهم، فاندفع يعبر بالنغمة الساحرة والكلمة الجميلة، وقصيدة الشاعر "**صلاح جاهين**" المذكورة آنفا "اللي جرى لجميلة" مثال على ذلك، والتي نظمها في خمسينيات القرن الماضي عندما كانت الثورة التحريرية الجزائرية في أوج عنفوانها، يقدم أبطالها دروس النضال والحرية للشعوب المستضعفة، برجالها ونسائها الذين بلغت ملاحمهم أصقاع العالم.

وقد تجسد حضور شخصية البطلة "جميلة بوحيرد" في هذه القصيدة وفق عدة أبعاد نراها كالتالي:

البعد الأول: جميلة/العروبة

العروبة في معاجم اللغة اسم يراد به خصائص الجنس العربي ومزاياه، والعروبة في مفهومها المعاصر هي الإيمان بأن الشعب العربي شعب واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصالح، وإيمان العرب بأنهم أمة قديم ويصعب تحديد بداياته؛ فافتخار العرب بجنسهم في أشعارهم موجود منذ بداياته، وتجسد أكثر مع الدولة الأموية حيث

تجسدت القومية بشعور العرب بأنهم أمة مميزة ضمن الإسلام.[14]وأن تكون عروبيا يعني أن تسعى لنهضة عربية شاملة، لا تتبرأ من أمتك في وقت ضعفها ووهنها، ولا تدير ظهرك لها وكأن الأمر لا يعنيك بل في وقت اشتداد الأزمات تقوم بكل ما تستطيع لإنهائها ولتساعد في النهوض بكل ما تستطيع فهذه مسؤوليتك كعروبي.[15]

هذا ما جسده صلاح جاهين الذي تغنى بالعروبة وقضاياها مشرقا ومغربا، فهو شاعر وحدوي الاتجاه عروبي الصوت،[16] لذلك فإن نظرته إلى الثورة الجزائرية كانت تنطلق من هذا المنظور، وهو في قصيدته هذه يصور البطولة التي شعّت في الجزائر، وعما يرمز إليه هذا البطل من تضحية وتحمّل مشاق وصبر على المكاره في الحرب.

يسرد الشاعر حكاية "**جميلة**" سردا قصصيا جميلا؛ ويستهل قصيدته بوصف حسي لـ"جميلة" قد يُفهم في البداية أنه مجرد وصف لتفاصيل أنثى بدقائقه وألوانه، إلا أن هناك معنى خفيا، يقول:

شَـفَـايِـفْـهَـا لَمَّـا تِضْـحَـكْ ... زَيِّ شَـفـايـف ثُـرَيَّـا
وَعْـيُـونْـهَـا بِـالْـحَـوَاجِـبْ ... تَـمَـامْ شَـبَـهْ سَـنِـيَّـهْ
وَشَـعْـرَهَـا الْمِـمُـوَّجْ ... مَـفْـرُوقْ مِـنْ الشِّـمَـالْ
عَـلَى الْمُوضَـهْ الْـبَـنَّـاتِـي ... زَيِّ عَـرُوسِـهْ كَـمَـالْ
وَسَـمْـرَا زَيِّ خَضْـرَهْ ... وَرَقِـيـقَـهْ زَيِّ سَـوْسَـنْ
وِالْـوَرْدِ فُـوقْ خُـدُودْهَـا ... صَـلاةْ النَّبِي أَحْسَـنْ [17]

[14]-انظر: عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008، ص24

[15]- انظر: حنان الهاشمي، في معنى العروبة، مفاهيم وتحديات، تقديم: جورج قرم، المركز الثقافي العربي، 2014، ص299

[16]- مؤمن المحمدي، صلاح جاهين الأعمال الكاملة، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ط1، ص15

[17]- صلاح جاهين الأعمال الكاملة، ص304

يستغل الشاعر جسد "جميلة" للتعبير عن قضاياه التي يؤمن بها، وهو الشاعر القومي العروبي الذي كانت قصائده حقا تعبر عن "الهوية العربية باقتدار، فتجاوزت حدود الانتماء إلى آفاق إنسانية"[18] ، إنه يرى "جميلة" في كل بنت مصرية، ذاتُ التفاصيل؛ لون العيون والشفاه والشعر المموج، سمرتها الساحرة ورقتها وعذوبتها، لذلك هو يشعر بألمها وعذابها، وكأنه عذاب بنات بلده، وأن تنكيل الاستعمار بها هو امتهان لكرامته وكرامة العرب جميعا، فهي واحدة منهم، ولا تختلف عنهم في أي شيء، تحب أن تعيش كبنات قومها في دعة وراحة، وأن تنعم بحياة هادئة طبيعية كأي فتاة في عمرها ترنو بأمل إلى المستقبل:

بِـتْـحِـبْ الْأَغَـانِـي وَبِـتْـحِـبْ الْـعَـمَـايِـرْ
وَبِـتـحـب الْـجَـنَـايِـنْ وَالْـوردِ والْـعِـيَـالْ[19]

جميلة شابة مفعمة بالأمل، تملؤها الحياة، تحب الفرح والأغاني، و تسعد بالناس وتستأنس بالانضمام إليهم، ومشاركتهم مناسباتهم وأفراحهم، تعشق الجمال و تتذوقه؛ إذ تستهويها الحدائق الغنّاء والورود الزاهية الفوّاحة، كما أنها ككل فتاة تحلم بتكوين عائلة سعيدة، في مكان يسوده الهدوء والطمأنينة، وأن ترزق بأبناء تربيهم في بلد آمن مستقر، بلا خوف ولا ذل، ينعمون بخيرات بلادهم، ويعيشون فيها مرفوعي الرأس، يكبرون أمام عينيها فتسعد بنجاحاتهم وتكبر آمالها معهم، إلا أن القدر كان له رأي آخر، فقد هيأ لها حياة مختلفة عن أقرانها، صحيح هي حياة شدة وتعب وقهر وظلم، لكنها كذلك حياة مديدة خالدة في الوجدان والأذهان.

البعد الثاني: جميلة/الوطن/الجزائر

الوطن أيقونة الأحياء وحرمة المخلصين، تغنى به الشعراء من البداية وقدّسته الأديان، فحبه من تمام الدين، والذود عنه من شيم الأحرار المخلصين، وطالما لك وطن

[18]- فرحان اليحيى، أزمة المواطنة في شعر الجواهري، دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص38

[19]- صلاح جاهين الأعمال الكاملة، ص 304

فلك عنوان تعتز به، ومن ليس له وطن ليس له في الثرى قبر، لذلك فهم معذبون من فقدوه.

والوطن في اللغة المنزل تقيم فيه، وأوطن بالمكان أقام به واتخذه وطنا "[20]فكل أمة لابد لها من وطن هو منشؤهم، ومنه أولية حكمهم، وإذا ملكوا ملكا آخر صار تبعا للأول، وأمصاره تابعة لأمصار الأول"[21]، والوطنية تعني حب الفرد وإخلاصه لوطنه الذي يشمل الانتماء إلى الأرض والناس والعادات والتقاليد والفخر بالتاريخ والتفاني في خدمة الوطن والاستعداد للموت دفاعا عنه، ويوحي هذا المصطلح بالتوحد مع الأمة.[22]

وبما أن الشاعر "صلاح جاهين" مواطن عربي فإنه يقف مع أبطال أمته، وبطلة الجزائر واحدة منهم، إنه يساندها ويؤازرها ويسخر من أعداء وطنها، كما يعبر عن امتزاجه بالجزائر حتى أنه يود أن يذوب فيصير رصاصة تطلقها الجزائر على أعدائها، بل ويتمنى أن يصير شمعة تضيء حياة البؤس في هذا الوطن، لأن أهلها أهله، وبينهم روابط رحم ونسب، وهم في عيونه أبطال منذ الأزل، يقارعون الأعداء ويهزمونهم كأبطال الأساطير والحكايات، وبفضلهم سوف تبقى الجزائر عصية على الدخلاء:

وَجَـمـيـلـة مِـنِ الْـجَـزائـر بَـلَـدِ الـبـحـر الـكـبـيـر
بِـلادْ وِلاَدْ عِـمَـامْـنَـا فُـرْسـانْ الْأسـاطـيـر[23]

ويُقر الشاعر بطبيعة الجزائر والجزائريين؛ فهم مجبولون على الحرية، لا يهزمون أبدا، ورايتهم لا تُنَكَّسْ، لا يعنيهم العيش في بحبوحة وطمأنينة وسلام، بقدر ما يعنيهم أن

[20]- انظر: محمد هادي اللحام وآخرون، القاموس عربي-عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007، ص 847

[21]- سميح غنيم، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2000، ص1121

[22]- انظر: مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1996، ص110

[23]- صلاح جاهين الأعمال الكاملة، ص 304

يتنفسوا الحرية وأن يكونوا أسيادا في أوطانهم، لا ينازعهم فيهم أحد، أو يَسُنُّ لهم الحقوق والواجبات، ولأن جميلة من الجزائر فهي عنوان لكل هذه المبادئ وإحالة على كل هذه القيم، قيم الحرية والشرف:

الـلِّـي زارْعِـيـنْ رَايِـتْـهُـمْ عَ الْـقِـمَّـةْ مْـرَفْـرَفَـةْ
الـلي سَـــايْـبِـيـنْ بُـيـوتْهُـمْ والـــفَـــرْشِ والـــدَّفَـــا
عَلَشَـــانْ عَـاوْزِينْ يِعيشُـــو حـــيـــاة مُشـــرّفَـــةْ
جـمـيـلـة وَحْـدَةْ مِـنْـهُـمْ وَحْـدَةْ مِنْ شَـــعْـبِ ثَـايِرْ
بِـــتِـــكْـــرَهْ الْمُضَـــالِـــمْ وَبـتْـجِـبْ الـجـزائـر [24]

"جميلة" بقوتها وبطولتها ورفضها العيش تحت نير الذل والاستعباد، وتفضيلها الموت في ساحات البطولة والشرف في سبيل نيل حريتها وكرامتها على أن تعيش الترف والراحة في ظل الاستعمار والاستعباد وسلب الحقوق والحريات، هي تجسيد للجزائر وعنوان لها، إنها "التجربة الحية ضمن ما يسمى بالنسق الموحد بين الموضوع والذات".[25]

فقصتها التي يرويها الشاعر في هذه القصيدة إنما هي قصة الجزائر التي ذاق أهلها أبشع استعمار في العصر الحديث، وإزاء مجد الجزائر التاريخي التليد الزاخر بالكفاح والنضال، فقد تمثلت الجزائر في "جميلة" التي سيظل التاريخ يشهد لها بطولاتها بكل تقدير وإجلال، حتى أضحت قدوة ورائدة في ميدان التحرر، تدرّس للشعوب المقهورة سبل الانعتاق وتمنحهم الأمل في الحرية.

البعد الثالث: جميلة/البطولة

البطولة من أسمى أهداف الطامحين الذين صقلتهم المحن وأرهقتهم المتاعب وهم يسيرون نحو هدفهم دون كلل أو ملل، ولا يترددون في بذل الغالي والنفيس وحتى التضحية

[24]- صلاح جاهين، الأعمال الكاملة، ص 304

[25] - الأخضر بن السايح، جماليات المكان القسنطيني، قراءة في ذاكرة الجسد، دراسة نقدية تحليلية، منشورات مخبر اللغة العربية وآدابها، دار الأديب، 2007، ص98

أحيانا في سبيل بلوغ المبتغى، ويرتبط معنى البطولة في اللغة بالشجاعة والاستبسال، والبطولة في لسان العرب هي الشجاعة،[26] ومفهوم البطولة لا يمكن أن يتحقق مالم تكتمل في إطاره كل أشكال التضحية، ولا يمكن أن يستمر إذا لم يستوعب حاجات مجتمعه ويلبي نوازع الإنسان الذي آمن بهذه القيم وتربى في ظلالها واستمد منها مقومات حياته.[27]

يقول توماس كارليل في مفهوم البطل والبطولة: "إن التاريخ العام تاريخ ما أنجزه الإنسان في هذا العالم، وهو تاريخ الرجال العظماء الذين عاشوا وعملوا من أجله، وكل ما نراه متقنا هو نتيجة أفكار هؤلاء العظماء، فروح تاريخ العالم إنما هو تاريخ أولئك الفحول"[28].

وإذ يصور الشاعر في قصيدته عمق النضال والتضحية والبطولة، فهو يصور إيمان "جميلة" بكل ذلك، ومن خلالها يصور كفاح الشعب الجزائري كله، فقد خاضوا جميعا حربا وثورة عارمتين بلا خوف ولا وجل، بل في صبر وتصميم، وعكسوا كثيرا من القضايا وقلبوا موازين الأشياء حين قرّروا ركوب الصعب، وأحدثوا تغييرا جذريا في الأفكار والحياة؛ حيث إن ما كان مستحيلا أصبح مألوفا وعاديا، لأن هذا هو معنى الثورة ومنطق الثوار، فالمعاناة والجراح من اليوميات:

وِالـلّـي جَـرَى لُـجَـمِـيـلَـةْ شِـمِـيءْ وَرَا الْـخـيَـالْ
تِـجْـرِي وِالـدَّمّ نَـازِفْ وِتْـقُـولْ يَـا جَـرْحِ جَـازِفْ
وِتْـقُـولْ يَـا جَـرْحِ جَـازِفْ والـنـاس مِسْـتَـنْـظَـرَةْ [29]

[26]- جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ص86

[27]- انظر: نوري حمودي القيسي، البطل في التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988، ص33

[28]- ج.أ. أورسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963، ص378

[29]- صلاح جاهين، الأعمال الكاملة، ص305

ما عانته "جميلة" لقسوته وخرقه لكل القيم الإنسانية أمر لا يصدق، وكأننا أمام مشهد سريالي أدهش الشاعر وحفزه لينظم هذه الأبيات؛ فقد تمت مطاردة جميلة في شوارع القصبة من قبل جنود الاحتلال، وقد أصابوها برصاصهم، ورغم جرحها النازف إلا أنها كانت تقوّي نفسها وتدوس على جرحها في صبر وأمل من أجل شعبها الذي ينتظر النصر ويتوق إلى الحرية والانعتاق "فالبطولة وقوادها المظفرون هم الأبطال لأنهم حفظة الإنسانية والقيم الأخلاقية والمثل العليا، وإجلال الأبطال باقية في النفس البشرية ما بقي الإنسان على هذه الأرض"[30].

ولأن جميلة اختارت طريقها، فهي لن تنكص على عقبيها لأنها قررت مختارة أن تتحدى أعداء الوطن، بل وتتحدى الموت نفسه، وهذا التصميم جعل الشاعر ينبهر بهذه الشجاعة التي تخطت الخيال، لأنها فدائية، والفدائي لا مطلب له سوى الشهادة التي تحقق له المعنى الذي يبحث عنه، وتحقق له البطولة التي لا تتم إلا بالتضحية والموت إن لزم الأمر:

خَـطْـوةْ كَـمـانْ زِيَـادَةْ وِفْ كِتْفَهَا الرُصَـاصَـةْ
لِـحَـدْ مَـا اتْـرَمَـتْ وِكْلابْ الصِّـيـدْ جَـابُوهَـا
وِمَـهْـمَـا يَـعَـذِّبُـوهَـا وِمَـهْـمَـا يَصْـلِـبُـوهَـا
أَبَـدًا مَـاسَـلِّـمِـتْ وِمَـهـمـا يَـغْصِـبُـوهَـا
أَبَـدًا مَـا اتْـكَـلِّـمِـتْ يـا حَسْـرَةْ عَ الشَّـبَـابْ
طُولْ اللّـيـل السْـجَّـانَـةْ بِـيسِـنُّـوا الْمِـقْصَـلَـةْ
وَجـمـيـلـة في الـزنـزانـة سَـامْعَـةْ وِمِسْـتَحْمِلَـةْ[31]

يستغل الشاعر هنا عنصر القص، فيروي حكاية فتاة تتعرض للقنص من طرف جنود الاستعمار، ويوغل في وصف إرادتها الفولاذية واستماتتها في سبيل قضية مقدسة،

[30]- توماس كارليل، الأبطال، تر وتحق: محمد السباعي، دار المعارف، القاهرة، ص72و73

[31]- صلاح جاهين، الأعمال الكاملة، ص 305

ويصف أدوات الحرب والتعذيب القاسية التي تمارس ضدها، لكنها استهانت بها كما استهانت بالموت فتساوت عندها مع الولادة.

والشاعر هنا يقف في صف جميلة يساندها، فيثمن قوة تحملها للتعذيب والتنكيل، ويؤازرها ويسخر من أعداء وطنها؛ وإن كانوا يملكون القوة إلا أنها قوة زائفة؛ فهم يلبسون جلود آساد يتنكرون فيها، بينما هم غير ذلك تماما، ترهبهم الشجاعة، ويوجلهم الإقدام والتضحية حتى من امرأة.

البعد الرابع: جميلة/ الثورة

قد تكون دون تخطيط في بداياتها، ولكنها سرعان ما تتحول إلى طوفان يجرف كل شيء، إنها الثورة تحمل آمال المستضعفين نحو حياة عزيزة كريمة، لذلك فهديرها لم يتوقف منذ بزوغ فجر الإنسانية، والإنسان بفطرته يأبى الظلم ويكره الخنوع ويتطلع إلى الحرية. ولهذا تراه لا يهنأ له بال حتى يسترجع تلك المعاني السامية.

والثورة في اللغة هي الهيجان والغضب، والوثوب والظهور،[32] ومعناها في الاصطلاح لا يختلف كثيرا فهي تعني: التحول الجذري في التكوينات الاجتماعية والسياسية والنظام العام، ومقاومة نظام الملكية ذاته، وليس مجرد التمرد والعصيان.[33]

وتعرفها الموسوعة العربية بأنها تغيير جذري في الأوضاع السياسية والاجتماعية لدولة معينة، لا تتبع في إحداثه الوسائل المقررة لذلك في النظام الدستوري لتلك الدولة، حيث يقوم الشعب بنفسه بقلب نظام الحكم، وهذا هو الفرق بينها وبين الانقلاب الذي

[32] - انظر: لسان العرب، مج4، ص108

[33]- انظر: إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي-إنجليزي)، كتب عربية، القاهرة، 2005، ص140

يقوم به عادة بعض رجال الحكم لإعادة توزيع السلطة بين هيئات الحكم المختلفة، أما الثورة فهدفها إحداث تغييرات جوهرية في النظام السياسي أو الاجتماعي.[34]

نفهم أن الثورة في المعنى العام هي عدم الرضا بوضع معين ومحاولة تغييره بالقوة، والثورة الجزائرية أكبر مثال على ذلك.

والشاعر قد جعل من "جميلة" رمزا للثورة والنضال، ومرجعا لهما، ومتى ذُكرت "جميلة" كانت الثورة، وإن دام ليل المستعمر طويلا، فقد زال الآن، ورياح التغيير هبّت، والطبيعة نفسها تغير حالها من حزن إلى فرح وأمل، فقد دوى صوت البندقية أخيرا، وتحرر الشعب من خوفه وضعفه:

طُـولِ الـلّـيـلْ المَـعـارِك　　دَايْرَةْ في حُضْـنِ الْجَبَـلْ
وِجـمـيـلـة في الْمَـهَـالِـكْ　　عَـايْشَـةْ عَ الْأمـلْ
أمـل أمـل أمـل　　إِتْـقَـدِّمْ يـابَـطَـلْ
ثَـبِّـتْ في الـبُـنْـدِقُـيَّـةْ　　خَـلِّي الـنَّـارْ تَشْـتِـعَـلْ
دَهْ الـلِّي جَـرَى لْجَـمِـيـلَـةْ　　مَـالْـهُـوشْ غِـيرْ الْـعَـمَـلْ[35]

يؤكد الشاعر على أن السلام لا يتحقق إذا إلا بالحرب، والثورة في حقيقتها حدث خارق للمألوف لذلك فإنها تغير كل شيء، حتى المستحيل يتحقق مادامت تفجرت ثورة، ومادام الثوار قد قرروا أن يغيروا معادلات الحياة، فإن مغامرتهم مطلوبة بل و ضرورية؛ لأن ذلك يبعث الأمل في الآخرين ويحقق في النهاية الحلم الرائع الذي لا يتم إلا بالتضحية وبالدم وبالثورة، في هذه الحال فقط يصبح السلام نارا تعم الجزائر من أقصاها إلى أقصاها و"جميلة" عنوان لها، لأن البطل لا يقتصر عمله على الفعل الذي يتركه فحسب وإنما يتمثل

[34]- انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مج2، دار الجيل، بيروت، ط2، ص798

[35]- صلاح جاهين، الأعمال الكاملة، ص 305

في الطبيعة الخيرة النبيلة القائمة على دفع الظلم وإقامة العدل وتأثير الخير وقيادة الناس لما فيه خيرهم وصلاحهم .[36]

والشاعر يؤمن بالنهاية والمنطقية لثورة "جميلة" وشعبها، وقد قال ذلك في كلام بسيط، ولكن في تصوير جميل معبر فيه إيحاء وتلقائية تجعلنا نتابع القصيدة بلا ملل أو توقف، لأن الصدق هو اللحمة الأساسية فيها من بدايتها حتى نهايتها، وتلك قيمة الشعر الحقيقي الذي يرغمنا على الإحساس والتذوق أيضا.

ف "جميلة" وغيرها من الأبطال الذين قرروا النضال فعلوا ذلك لأن الحياة تتم بالموت، هم البذرة التي تنبت الخير، ومن دونها لا يتحقق المعنى النبيل ولا تستقيم الحياة، وهذا ما يدفع الأجيال كي تصنع النصر وتواصل المهمة، وهذه الكوكبة من المناضلين والشهداء هم الذين أعادوا للحياة طعمها وللأشجار خضرتها حتى يتحقق السلام والطمأنينة للجزائر ثم خلدوا إلى الراحة لأن الهدف تحقق.

الخاتمة:

نخلص في النهاية إلى جملة من النتائج لعل من أهمها:

-الثورة الجزائرية حاضرة في الإبداع الشعري العربي من خلال شخصية جميلة بوحيرد، وهذا الحضور طال الشعر الرسمي والشعبي أيضا.

-لقد عادت بنا هذه المقاطع الشعرية إلى حقبة مضيئة من تاريخنا وتاريخ الأمة العربية، كما وصفت الإرادة الفولاذية لبطلتنا واستماتتها في سبيل قضية مقدسة في وجه أساليب الحرب الشنيعة.

[36]- انظر: عبد الوهاب البياتي، وعي العصر والبنية الشعرية الحديثة، محمد المبارك، مكتبة عدنان، بغداد، 1، 2011، ص33

-جميلة بوحيرد كانت أنموذجا لنضال المرأة الجزائرية العربية التي ألهبت مشاعر الشعراء العرب الذين هبوا لنصرتها ونصرة قضيتها.

-تأثر الشاعر المصري صلاح جاهين بشخصية "جميلة"، وقصة سجنها وتعذيبها، فانسحبت شخصيتها على كل الثورة الجزائرية عنده، فعبر عن الثورة من خلال شخصها.

-أضحت جميلة بوحيرد في قصيدة صلاح جاهين هي العروبة والوطن والثورة والبطولة، حيث عبّر عن هذه المفاهيم من خلال قصتها التي يبدو أنها أثرت فيه كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

1. الأخضر بن السايح، جماليات المكان القسنطيني، قراءة في ذاكرة الجسد ، دراسة نقدية تحليلية، منشورات مخبر اللغة العربية وآدابها، دار الأديب، 2007

2. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي-إنجليزي)، كتب عربية، القاهرة، 2005

3. بديع الحاج، عبد الجليل وهبي في الإنتاج الفني والإذاعي، في جمعية المؤلفين والملحنين وناشري الموسيقى في لبنان، دار نلسن، بيروت، 2022، قصيدة "كلنا جميلة".

4. توماس كارليل، الأبطال، تر و تحق: محمد السباعي، دار المعارف، القاهرة

5. ج ..أ أورسون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر: فؤاد كامل وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963

6. جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1968، مج4

7. جورج أرنو، أسطورة من كفاح الجزائر: جميلة بوحيرد، ترجمة وتقديم: عبد القادر حمزة، مطابع دار أخبار اليوم، القاهرة، دت

8. حنان الهاشمي، في معنى العروبة، مفاهيم وتحديات، تقديم: جورج قرم، المركز الثقافي العربي، 2014

9. حواء البدري، الملتقى الثقافي العربي، الشاعر محمد المريمي وريادة الشعر الغنائي، www.ektrab.com

10. سميح غنيم، موسوعة مصطلحات العلوم الاجتماعية والسياسية في الفكر العربي والإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 2000

11. شريبط أحمد شريبط، كتاب جميلة بوحيرد الأدب يخلد الكفاح، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2015

12. عبد العزيز الدوري، الجذور التاريخية للقومية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2008

13. عبد الوهاب البياتي، وعي العصر والبنية الشعرية الحديثة، محمد المبارك، مكتبة عدنان، بغداد، 1، 2011

14. عصمت الحبروك، ديوان الوصايا الألف، دار الكتاب اللبناني للطباعة، بيروت، 1985

15. علي الفقي، ديوان أمواج وأنواء، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967

16. علي بلنوار، مقاربة في لغة الشعر الشعبي، مجلة الفنون الشعبية، ع83، أكتوبر-مارس، 2007، 2008

17. فرحان اليحيى، أزمة الموطنة في شعر الجواهري، دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001

18. مجموعة من المؤلفين، الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1996

19. محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام، ج1، دار ابن حزم، 2018

20. محمد هادي اللحام وآخرون، القاموس عربي-عربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007

21. الموسوعة العربية الميسرة، مج3، دار الجيل، بيروت، ط2، 2001

22. مؤمن المحمدي، صلاح جاهين الأعمال الكاملة، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ط1

23. نوري حمودي القيسي، البطل في التراث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1988